



تثير السياسة الأمريكية فضول المراقبين لجهة محاولة تفسير أدوارها الفعلية داخل سوريا، تحديداً شرق الفرات، ذلك أنه بالكاد يمكن رؤية رأس جبل الجليد في ما خصّ سياسة الولايات المتحدة واستراتيجيتها الحالية، والمتمثلة بدورها الطليعي في محاربة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) اتكاءً على حليفتها قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، ليبقى السؤال العالق: هل هناك إشارات على رغبة أمريكا البقاء في المنطقة شرق الفرات والمتاخمة للحدود السورية - التركية، والسورية - العراقية في المرحلة التالية للإجهاز على تنظيم داعش؟ أي هل يمكن الحديث عن النقلة الثانية للاستراتيجية الأمريكية، وما هي الأكلاف التي تنتطوي عليها مسألة بقاء أمريكا، وتلك المتعلقة بانسحابها؟

يغلب على الظن أن الولايات المتحدة نجحت في تحقيق الجزء الرئيسي من استراتيجيتها العلنية المتمثلة بـدرن "داعش" بأقل الخسائر البشرية في صفوف عديد قواتها، والتي تکاد تلامس الصفر قتيلاً أمريكياً، وبكلفةٍ ماليةٍ زهيدةٍ قياساً بخسائرها الباهظة في العراق وأفغانستان. إلى ذلك، نجحت في امتصاص الغضب التركي على تحالف الولايات المتحدة مع غريمها الكردي (وحدات حماية الشعب)، عبر إشراك مقاتلين عرب محليين في عديد القوات التي تأسست عليها (قسد)، وكان للأميركان دورٌ بالغ الأهمية في تغيير بنيتها التنظيمية من وحدات حماية الشعب، ذات الطابع الكردي، لتصبح أشبه بقوات وطنية متعددة العناصر والقوميات.

تخشى قوات سوريا الديمقراطية، ضمناً، القيادات العسكرية الكردية، انخفاض الدور الأميركي في المنطقة، وجلاء قواتها ومستشاريها وغرف عملياتها ونقل مرايضاً طيرانها بعيد هزيمة "داعش"، فالخشية تنتطوي على مخاوف واقعية تتمثل بإمكانية صدامٍ عسكري في اتجاهين: صدام عسكري بين "قسد" وقوات النظام السوري والمليشيات التابعة لها، وهذا مكلفٌ لـ"قسد"

نتيجة اضطلاع الروس بالدور الرئيسي القائم على تمكين النظام من بسط سيطرته على كل سوريا، وبالتالي لا طاقة للقوات المذكورة من مواجهة الروس بشكل مباشر أو غير مباشر، بينما يخشى من صدام ثانٍ متوقع قد يحصل مع تركيا التي سبق أن لوحّت بإمكانية شن هجمات عبر سلاح الطيران والمدفعية على موقع تابعة لوحدات حماية الشعب. وفي حال تم الرد على مصادر النيران التركية، وفي غياب الأميركيان، قد يؤدي الأمر إلى اندلاع مواجهاتٍ لا تحمد عقباها، تكون فيها الغلبة للجانب التركي، ما يجعل تمكّن "قسد" بتلبيب تحالفها والولايات المتحدة أمراً مفهوماً، وواقعاً.

في حين، وفي المقابل، يكاد يُفهم من الخطوط العريضة لسياساتها في سوريا أن الولايات المتحدة تبحث عن توسيع حزام تحالفاتها، والاحتفاظ في الوقت نفسه بما يضمن لها ولحلفائها المحليين مقاعد متقدمة في جولات المفاوضات بين النظام وخصومه، وبالتالي قد تسعى أميركا إلى أن لا تمنح معظم مقاعد التفاوض للروس والإيرانيين، وفرض شروطهما التي قد تؤدي بسوريا كلياً في أحضان إحدى هاتين القوتين النافذتين أو إداهما، وفي هذا ضرر بالغ على الوجود الأميركي في المنطقة برمتها.

يبدأ نقطة ضعف الأميركي شرق الفرات متصلةً بعدم توفر دور للمعارضة المسلحة التي سبق أن اجتثتها "داعش" شرق الفرات، وإن كانت المعارضة قد أبدت استعدادها المشاركة في معركة الرقة، من دون جدية، لتبرز أصوات تعلن عن رغبة المعارضة الاشتراك في حملة تحرير دير الزور عبر قوات موازية لـ "قسد"، غير أنه، وفي معزل عن جدية هذه الأصوات، يمكن القول إنها تأخرت في طرح هذا الاقتراح، جراء تسارع التسابق بين الروس والأميركان لأجل السيطرة على المحافظة شاسعة المساحة، علوةً على عدم امتلاك أميركا ترف تضييع الوقت أمام تقدم النظام والروس على الأرض. وعليه، قد تتمكن أميركا من تلقي نقطة الضعف هذه، عبر إشراك المعارضة في إدارة المناطق العربية شرق الفرات، ما يقلّل من مخاوف تركيا، ويخفّض من مخاوف المعارضة التي تخشى التهميش.

نظرياً، قد تبقى الولايات المتحدة في المنطقة الواقعة شرق الفرات، فالغاية من البقاء قد تتحول من ملاحقة "داعش" إلى غاية استراتيجية متمثلة بضمان حفظ الحدود الشرقية لسوريا من التمدد المذهبي الذي تسعى إليه إيران، الطامحة إلى التوغل داخل العمق السوري، كما قد يكون لبقاء الأميركي دورٌ في منع إعادة إنتاج الجماعات الإسلامية الراديكالية نفسها مجدداً في منطقةٍ بات نسيجها الاجتماعي هشاً وقابلًا لعمليات إعادة التدوير، يضاف إلى ذلك الخشية من اندلاع مواجهاتٍ بين الإثنيات أو بين المسلمين الذين رعنهم أميركا نفسها، ما يعني أن غيابها عن المشهد سيسهل على النظام والروس وإيران قضم هذه المناطق بسهولة.

قصارى القول، لم تحدّد أميركا أبداً بقاء قواتها شرق الفرات، ما يجعل مسألتي بقائهما أو رحيلها مفتوحتين على الاحتمالات المترادفة بين البقاء والاستثمار استراتيجياً وامتصاص المنفّعات التي قد تظهر لاحقاً كضررية للوجود في منطقة مليئة بالتناقضات، وبين الرحيل وترك المشكلات التي قد تنجم عن الفراغ الذي قد يملأه خصومها على كثرتهم، وإذا كان لا بد من تدبر وتفكير مليّ في ما سيحصل في الحالتين، تبقى مسألة بقاء الأميركيان شرق الفرات في المدة التي تلي الإجهاز على "داعش" أقرب إلى المنطق والتصديق.

المصادر: